

مركزية كالشرق الأوسط^(٥). وتم تتويج الحملة بتحدي فكرة التفريق بين «حروب كبيرة» و«حروب صغيرة»، عبر أحد مستشاري المرشح الجمهوري، آنذاك، ريفان: «قد تكون الحرب الصغيرة في الخليج الفارسي، صغيرة فقط بالقياس الى الحرب الكبيرة في وسط أوروبا، أي بمعنى انخراط قوات أقل في المعركة. أما المصالح المتنازع عليها فقد تكون شديدة الضخامة.. فاعتماد حلفائنا الرئيسيين في أوروبا الغربية وشمال شرقي آسيا على نفط الخليج متفاوت، لكنه اعتماد شديد الكبر. انه من الكبر بحيث لامعنى للتساؤل عما اذا كان الهجوم على الخليج أقل أهمية من الهجوم على وسط أوروبا. فالهجوم على الخليج يعادل هجوماً غير مباشر على الوسط»^(٦).

وواضح من كل تلك التعليقات، ان الاستراتيجية المطروحة تجاوزت، ليس الحديث عن «حق تقرير المصير» فحسب، بل «الدفاع عن حقوق الانسان» كذلك، ك معايير للسياسة الخارجية. ان نحن هنا أمام نصوص تعلن أن منطقة الخليج، ناهيك عن شعوبها، ليست مهمة بحد ذاتها. انها مهمة للحفاظ على مصالح البلدان الرأسمالية وتماسك تحالفها. ولكن كيف صيغت موضوعة الخطر على الخليج؟ بمعنى، ما هو السيناريو المفترض لمصدر الخطر على الخليج؟ وماهي وسائل الدفاع عنه؟ وهل تتلاءم وسائل «الدفاع» مع مصدر «الخطر»؟

من يهدد الخليج؟

في ملحق خاص بعنوان: «الدفاع عن الخليج»، تطرح الايكونومست^(٧) السيناريوهات التالية: غزو سوفياتي للمملكة السعودية، انقلاب عسكري في المملكة؛ حرب أهلية في ايران؛ هجوم سوفياتي على حقول النفط شمالي العراق؛ اغراق ناقلة نفط في مضيق هرمز. خيال بارع! نعم، لكنه خيال موجه. سنتجاوز، مؤقتاً، طرح «سيناريو» أكثر احتمالاً يتعلق بهجوم اسرائيلي، فمن وجهة النظر الاستراتيجية الغربية، كما سنلاحظ، سيكون هذا «حلاً» بوجه المخاطر المهددة لضمان امدادات النفط.

الأمر الأكثر أهمية هنا، ملاحظة كيف يجيب استراتيجيو البيت الأبيض على أسئلة من النوع التالي: ماهي المعطيات القائمة لاحتمال تحقق أحد هذه السيناريوهات؟ هل أن تحقق أحدها يمكن أن يهدد مصادر امدادات الغرب بالطاقة؟

وليس في نيتنا هنا الدخول، في تفاصيل عن التوازن الاستراتيجي بين الاتحاد السوفياتي وقوات حلف وارسو من جهة، والولايات المتحدة وحلف الأطلسي من جهة أخرى. ذلك أننا عند حساب القدرات العسكرية المجردة، يمكن أن نتوصل الى شتى الاستنتاجات. وسنكتفي بالإشارة الى أن المنطق الأميركي نفسه، هو المنطق الوحيد الذي يمكن بموجبه، تبرير الاحتلال، أكان أميركياً أم غير أميركي.

في دراسة نشرتها نيويورك تايمز على ثلاث حلقات، تبدأ الصحيفة بالإشارة الى أنه في عالم اليوم لا يكفي الاعتماد على النوايا بل لا بد من التركيز على الامكانيات، لكنها لا تخفي في النهاية أن منطقة الخليج والمحيط الهندي التي تهم الأميركيين، كمجال لد نفوذهم وهيبتهم القومية، تبدو في طريقها لأن تصبح مسؤولية أميركية، بعد أن ظلت طوال أكثر من مائة عام خاضعة لبريطانيا^(٨).